

# العقلية التأمريّة عند العرب

خلدون حسن النقيب  
قسم الاجتماع / جامعة الكويت

( ١ )

يقول ماكسيم رود نسان في كتابه المعلنون «العرب»، بأنه يبدو أن العرب في هذه اللحظة من التاريخ يشيرون أشد الانفعالات عنفاً أكثر من أي شعب آخر<sup>(١)</sup>. ولكن ما لم يقله رود نسان هو أن العرب يشيرون هذه الانفعالات العنيفة في أوروبا الغربية، لدى الأوروبيين أو الغربيين عامة، وأن لهذه الانفعالات تاريخاً حضارياً طويلاً ليس مقتصرأ على هذه اللحظة في التاريخ. وربما يكون ما يشيرونه العرب من انفعالات عنيفة لدى الشعوب الأخرى أحد الأسباب التي تدفع العرب إلى المبالغة الإدراكية وإلى الاعتقاد بأنهم مستهدفون من دون الأمم الأخرى، وأن الشعوب التي تنافسهم حضارياً وسياسياً واقتصادياً تتآمر ضدهم لإضعافهم والقضاء عليهم في النهاية. هذه الطريقة في التفكير سنسميها «العقلية التأمريّة».

ونقصد بالعقلية التأمريّة طريقة في التفكير الانفعالي التي تدعو إلى الاعتقاد بأن: (١) العرب أمة متميزة «مختارة» ذات رسالة تاريخية حضارية، ولذلك فهم مستهدفون بمؤامرة تحاك ضدهم بشكل واسع مقصود، (٢) ويساهم في هذه المؤامرة جهة معينة «مجهولة» أو غير محددة المعالم، (٣) وأن هذه المؤامرة تحاك في الخفاء ولكن يستدل عليها من كون الفعاليات التأمريّة تتخذ شكل الرموز والشواهد والمعميات، ولذلك فلا بد من الكشف عنها وفضح أساليبها، (٤) وأن هذه المؤامرة والنشاطات التأمريّة تهدف في النهاية إلى القضاء على العرب كأمة وكحضارة أي على رسالتهم التاريخية الخالدة.

إن أحد أهم شروط العقلية التأمريّة هي المقولة الثالثة بأن المؤامرة لا بد أن تكون سرية، ولذلك فلا سبيل إلى إثبات وجودها أو الوصول إلى حقيقتها بشكل علني ونهائي، لأننا هنا نتعامل مع رموز وشواهد ومعميات، ولذلك فهي تحمل في أحشائها سبب استمرارها ودوامها لمن أراد الاعتقاد بوجودها.

ولو كان هذا النوع من التفكير قاصراً على العرب في العصر الحديث والمعاصر لكان هذا الأمر مفهوماً ومعقولاً. فقد خلقت الامبراطوريات الأمبريالية والاستعمارية الحديثة مصالح عامة تشمل العالم كله، وطورت أساليب البطش وفرض السيطرة الماكراة المبطنة السياسية والثقافية والنفسية في سعيها لاستعباد العالم الثالث.

فالعقلية التأمريّة تناسب هذه الأوضاع مناسبة كاملة لأن ظهور الدول الكبرى التي تهيمن على العالم الحديث والمعاصر اقتضى تعطيل تقدم دول العالم الثالث واستباحة مواردها والتآمر عليها في السر والعلن، وكان نصيب العرب من هذا وافراً كبيراً، وخاصة من سلاح فرق تسد الذي كانت له نتائج مدمرة كثيرة ومعروفة<sup>(٢)</sup>.

ولكن بعض العرب ممن يدينون بالعقلية التأمريّة يوسعون الأفق التاريخي لهذه الفعاليات التأمريّة لتشمل جميع العصور والمراحل التي رافقت نشأة الدولة (والحضارة) العربيّة الإسلاميّة، أي أكثر من ثلاثة عشر قرناً من الزمن. وهم بذلك يخلطون بين الصراع والتنافس الثقافي والاقتصادي (الذي يتخذ أشكالاً سياسية وعسكرية) بين الحضارات والأمم، وهو أمر «طبيعي» أو اعتيادي في التاريخ البشري (له أسباب متباينة واضحة)، وبين الصراع التأمري الذي يهدف إلى غاية محدّدة مبطنة تسمى إليها جهة محدّدة بشكل واسع مقصود وهي القضاء على العرب.

وليس المقصود هنا القضاء على العرب كقومية أي كأمة فقط، فربما تعتقد بأن مفهوم الأمة هو مفهوم حديث لم يكن له وجود في العصور القديمة أو لم يكن له قوة التوجيه للسلوك التي له الآن، وإنما القضاء على العرب كدعاة دين سماوي أيضاً. فالإسلام كان أساس رفعة العرب ورفيهم الحضاري، فإذا ضعف هذا ضعف العرب وانحطوا. وهكذا فقد استهدفت المؤامرة حسب هذه العقلية العرب كجماعة دينية وكأمة واتسع نطاقها لتشمل جميع العصور والمراحل التاريخيّة. وهذا الاستهداف منبعم بالذات هذا التفرد التاريخي والتعالي القومي من كون العرب قومية متميزة ارتبط تميزها بالدعوة إلى دين سماوي ذي رسالة خالدة أخلاقية تمثينيّة.

ما هي إذن ملامح هذه العقلية التأمريّة عند العرب؟ وما هي أطوارها التاريخيّة؟

## ( ٢ )

لقد بدأ التآمر على العرب حسب منطق هذه العقلية «بمؤتمر نهاوند» (!) سنة ٦٤١ ميلادية، أي بعد مرور واحد وعشرين سنة للهجرة فقط. ويتوصل كاتب من أمثال عبدالرزاق الحسان إلى تاريخ وكيفية انعقاد هذا المؤتمر من إعادة تفسير رواية الطبري لأحداث فتح إيران. إذ يذكر الطبري بأن جيوش المسلمين كانت تجدد في طلب يزد جرد، امبراطور فارس، فكان أن دعى هذا «الجال وغيرهم» أن يوافوه في نهاوند للتشاور في أمر تقدم جند المسلمين. وتعاهد هؤلاء على إخراج من في بلادهم من جند عمر واقتلاع هذين المصريين (البصرة والكوفة)، وتعاهدوا كذلك «على أن يشغلوه (عمره) في بلاده وقراره».

ويرتكز تفسير الحسان لهذه الحادثة على هذه العبارة الغامضة: أن يشغلوه في بلاده وقراره، معتبراً إياها بداية مؤامرة «النهاونديين» لمشاغلة العرب منذ ذلك التاريخ، متخذة هذه المشاغلة أشكالاً عدة، بدءاً بتبني حركة الخوارج إلى التشيع «الزائفة» لعل، وما تبع ذلك من حركات سياسية، من القرمطية إلى الشيعية، إلى ما يسميه الحسان بالحركة أو الفكرة المهدوية التي هي عنده امتداد تاريخي لمؤتمر نهاوند<sup>(٣)</sup>. والحسان في استخلاصه لفكرة مؤتمر نهاوند من عبارة الطبري هو استكمال لما طرحه هذا المؤلف في كتابه السابق «العروبة في الميزان» الذي نشره سنة ١٩٣٣، ولما طرحه مؤلف آخر هو أنيس النصولي الذي نشر سنة ١٩٦٦ كتاباً بعنوان: الدولة الأموية في الشام<sup>(٤)</sup>.

هذان الكاتبان يمثلان تياراً فكرياً أصيلاً في العقلية التأمريّة عند العرب، هذا التيار الذي يقحم الفكرة القومية أو العروبية في الصراع الثقافي بين العرب والفرس والذي يرى في الصراع المذهبي غطاء لصراع قومي

سياسي ابتداء بمؤتمر نهاوند بقصد طرد العرب من فارس أولاً ثم مشاغلهم في بلادهم وإضعافهم والتسفيه فيهم ومن ثم القضاء عليهم. أما أن يكون هذا الصراع تنافساً «اعتيادياً» بين قوميات أو جماعات أثنية حول الأدوار التاريخية لكل منها وحول السلطة والملك فهو تفسير غير مقبول لدى حلة العقلية التأميرية. بل هي مؤامرة تتم في الخفاء فالشعوبيون لا يفصحون عن أهدافهم كما لا يعلن الشيعة عن ولاءاتهم الحقيقية عملاً بمبدأ التقية.

ويحمل أصحاب هذه الطريقة التأميرية في التفكير الإجابة عما إذا كان الشيعة قد لجأوا إلى مبدأ التقية غيرين أو مجبرين إتقاء للبطش والإرهاب. فهي مؤامرة لا بد من الكشف عنها عن طريق الربط بين الرموز والشواهد وإظهار المعنى الحقيقي للمعجمات. . إلخ. وعادة ما يحمل هؤلاء الإجابة عن سؤال: من هي هذه الجهة الواحدة المنظمة المنسقة لكل هذه الحركات والفعاليات التأميرية<sup>(٥)</sup>. ولكن الحصان يجب بأنها الشيعة أولاً واليهود ثانياً والنصارى ثالثاً<sup>(٦)</sup>. (لاحظ كيف أن الفكرة المهدوية هي القاسم المشترك لهذه الاعتقادات الدينية الثلاثة)، وأخيراً كل الفقراء وعامة الناس الذين كان يؤلبهم أبوذر الغفاري وأمثاله وكل المتمردين على أهل السنة ليس لكونهم أهل سنة ولكن لكونهم نبلاء قريش وتجارها الذين اكتنزوا الذهب والفضة.

فهذه الحلقة من الفعاليات التأميرية التي ابتدأت بمؤتمر نهاوند وامتدت عدة قرون واقتربت بتغلغل الأعاجم في المجتمع والدولة العباسية وصولاً إلى حكم البويهيين قد أدى إلى ظهور حركة واسعة لمقاومة هذه النشاطات التأميرية بقيادة ابن حنبل (٨٥٥م) حاملاً راية أهل السنة والجماعة. فكانت هذه أول حركة لمقاومة الفعاليات التأميرية التي استهدفت العرب كقومية وكدعاة دين<sup>(٧)</sup>. ولكن هناك أشكاً كبيراً في هذا مع أصحاب العقلية التأميرية وهي أن العراق العربي هو الذي كان مركز التشيع في ذلك الوقت ولم تكن إيران، بل إن إيران كانت في الغالب سنية شافعية. كيف يستقيم تفسير ارتباط المؤامرة بالفرس الشيعة إذن؟

### ( ٣ )

أما الحلقة الثانية فتبدأ بالحملات الصليبية (١٠٩٥ - ١٢٩١م) والغزو المغولي (١٢٣٥ - ١٢٦٠م)، أي أن العرب قد تعرضوا للغزو من الغرب والشرق في أوقات متقاربة. يقول الحصان: «يحدثنا التاريخ أن النهاوندين شمروا عن سواعدهم منذ حين كي يبيتوا الأمور لقدوم ملائكة الرحمة (!) من حدود الصين. . . ونشطت حركات الشيعة في بغداد تمهيداً لغزو المغول لها. . . والأحزاب الشيعة قاطبة أحزاب شعبية أعجمية وحدتها كراهيتهم للعرب لهذا أخذوا في الانتقام لعرش كسرى من العرب بكل الوسائل. . .»<sup>(٨)</sup>. ويدعي كاتب آخر أن الصليبيين جاؤوا لحماية الشيعة من جور السنة.

أما المغول فقد استوعبهم العرب والمسلمون (كما استوعبوا التركمان من قبلهم) بدخولهم في الدين الإسلامي وامتزاجهم بالحضارة العربية - الإسلامية، وإن كانت فترة حكمهم قبل دخولهم الإسلام قد اقترنت بظهور حركة أو موجة من حركات المقاومة الجديدة، هذه المرة بقيادة ابن تيمية (١٢٦٣ - ١٣٢٨م). وقد تميزت حركة المقاومة الجديدة بأراء أقل ما يمكن وصفها به أنها رجعية، منها: مبدأ تفضيل الخضوع للإمام المسلم الجائر على عدم وجود السلطان ومنها الرأي القائل بضرورة طاعة الحاكم ولو كان جائراً تجنباً للفتنة وافتقاء لتفريق كلمة المسلمين.

أما الصليبيون فلهم قصة أخرى مع العرب. فقد استهدفت حملاتهم في الظاهر تحرير الأراضي المسيحية المقدسة من «الكفار» العرب وقد انطوت على استهداف للعرب كجماعة دينية بشكل خاص: أي كمسلمين وكحضارة. ويرى من يحمل العقلية التأميرية بأن الصليبية هي نزعة عقلية وسياسية ثابتة تحكم الفكر الغربي المسيحي لم تنته باحتلال عكا والقضاء على الإمارات الصليبية في الشرق سنة ١٢٩١م، بل امتدت إلى المغرب

العربي بعد ذلك وساهمت في طرد العرب من الأندلس (١٤٩٢م). وقد بقيت هذه النزعة ثابتة مستمرة توجه سياسة العرب التأميرية في تعامله الثقافي والعسكري والاقتصادي مع الشرق العربي - الإسلامي طيلة هذه الفترة، وتجسد مصداقاً لهذا الاعتقاد في كلمة الجنرال الفرنسي المشهورة عندما دخل الفرنسيون دمشق محتلين غزاة سنة ١٩٢٠: لقد عدنا يا صلاح الدين<sup>(١)</sup>.

ومن هذا المنظور يمكن اعتبار صراع الغرب الاستعماري الرأسمالي مع الدولة العثمانية طيلة فترة حكمها صراعاً بين الصليبية وبين الإسلام، أي صراعاً بين حضارات وبين أساليب في الحياة وفي النظر إلى العالم (Ways of life) يتخذ من الدين سناراً ولكنه صراع من أجل البقاء وحتى النهاية. وكما ساهمت الدولة العثمانية في البداية بتشجيع البروتستانت ضد الكاثوليك في وسط وشرق آسيا (وأدى في النهاية إلى انشقاق أوروبا) مما دعى البابا إلى توحيد أوروبا الكاثوليكية في حرب مقدسة جديدة ضد المسلمين العثمانيين<sup>(٢)</sup>، كذلك ساهمت أوروبا في إذكاء الخلافات المذهبية والنزعات الانفصالية بين شعوب الدولة العثمانية فيما بعد، وخاصة في تحريض الصوفيون على جناح العثمانيين الأيمن - الشرقي وإشعال جذوة نزاع ستكون له نتائج مدمرة مدوية كما سنرى.

ويحمل من يؤمن بالعقلية التأميرية الإشارة إلى أن هذا الصراع كان صراعاً صريحاً معلناً وعماماً لم تدبره جهة واحدة معينة ولم يكن بمقدورها ذلك لو وجدت له أسباباً أعمق من الأسباب الثقافية - الدينية، فقد كان صراعاً بين المركنتالية العربية الإسلامية وبين المركنتالية الأوروبية الصاعدة والذي رافق انتقال مركز الثقل فيها من المدن الإيطالية إلى الامبراطوريات الإسبانية - البرتغالية وفيما بعد إلى شمال غربي أوروبا (هولندا وانكلترا). فقد كان إذن صراعاً على السيطرة والمهيمنة على طرق التجارة لكسر طوق الاحتكار الذي مارسته المركنتالية العربية الإسلامية الذي بدأ منذ القرن التاسع الميلادي (حوالي ٨٠٠م)<sup>(٣)</sup>، وانتهى في القرن السادس عشر بخسارة العثمانيين السيطرة على شرق البحر المتوسط واكتشاف رأس الرجاء الصالح.

وهناك من يغلو في الاعتقاد بهذه العقلية التأميرية ويصور جميع علاقات الصراع والتنافس الحضاري والاقتصادي والعسكري بين الشرق الإسلامي والغرب المسيحي على أنها حرب صليبية متصلة يدخل ضمنها العديد من النشاطات من الاستشراق<sup>(٤)</sup> إلى إدخال الأفكار القومية «الانفصالية» التي أدت إلى انهيار مؤسسة الخلافة (كما سنرى)، إلى نشر المفاهيم الديمقراطية - الدستورية الغربية عن التراث الإسلامي، إلى تسليط الصهيونية والماسونية وغيرها من الأفكار «المريضة» على العرب. وهكذا فقد وضعت في هذه المرحلة الأسس للحلقة أو حلقات جديدة من التآمر على العرب.

#### ( ٤ )

ونجد في الحلقة الثالثة من النشاط التأميري ضد العرب عناصر الحقيقة والوهم قد اختلطت وامتزجت بحيث يصعب الفصل بينها وإدراك معيائتها. ونقصد بذلك مجموعة النشاطات التي ترمز لها سلسلة الأحداث المتصلة بتحول الخزر من الوثنية إلى الدين اليهودي وظهورهم كالقبيلة الثالثة عشرة لبني إسرائيل (بين منتصف القرن ١٠م ومنتصف قرن ١٣م)، وتحول إيران بالقوة والإكراه إلى نبي المذهب الشيعي (بين سنة ١٥١١م - ١٥٢٤م). ومع أن هذين الحداث لا صلة منطقية بينها اللهم إلا اتفاقهما في النتائج التي تريد العقلية التأميرية التوصل لها للتدليل على وجود مؤامرة تاريخية ضد العرب.

أما في حالة الخزر فقد هياهم تداعي الأحداث والمصادفات (!) التاريخية للدور التاريخي الذي سيلعبونه

في القرن العشرين منذ سقوط مدينة بغداد على يد المغول. يذكر آرثر كوستلر عن الخزر بأنهم قبائل تركية سكنت جنوبي روسيا بين بحر الخزر وحوض الدون، وقد لعبوا دوراً كبيراً في وقف الفتح العربي في هذه المنطقة، الجغرافية (أو الجيوسياسية). وبالرغم من صلاتهم الوثيقة بالعالمين الإسلامي والمسيحي (بزنطة، الدويلات الإيطالية) فقد ترددوا لفترة طويلة في اختيار الدين السماوي الذي يناسبهم. وقد دعوا ممثلين من الديانات السماوية الثلاث إلى الحضور والمناظرة حتى يستطيع ملك الخزر أن يغلب ديناً على آخر. وفي النهاية اعتنق الخزر الدين اليهودي على المذهب القرائي<sup>(١٣)</sup>.

وبعد انهيار مملكتهم على أيدي المغول واستمرار الضغط عليهم من القبائل التركية الأخرى يبدأ هؤلاء حوالي سنة ١٢٤٧م بالهجرة إلى بولندا وأواسط أوروبا. حتى يعودوا في القرن العشرين إلى احتلال فلسطين وقد شكلوا النسبة الغالبة من سكان إسرائيل وحكامها الأشكنازي. فالصهاينة الأوروبيون لا علاقة لهم بيهود إسرائيل القدماء وأساطيرها الإثني عشر وإنما هم في الغالب من أصول تركية اعتنقوا الديانة اليهودية في غفلة من الزمن وفي ظروف غامضة، ولا يربطهم بالشرق رابط<sup>(١٤)</sup>.

أما الجانب الآخر من هذا النشاط التأمري فيما يتصل بتحول إيران إلى المذهب الشيعي فعنصر الحقيقة فيه واضح إلا أن افتراض وجود نية مبيتة وإدراك تام للنتائج هو أقرب إلى الوهم. فقد فرض إسماعيل شاه الصفوي المذهب الشيعي وكان مذهب الأقلية على إيران بأسرها. وقد ترتب على ذلك انشقاق العالم الإسلامي وإحداث الصدع المذهبي الذي لم يلتئم منذ ذلك الحين. ومع أن الفاطميين قد تسببوا في الانشقاق الأول في العالم الإسلامي إلا أنه كان انشقاقاً دينياً بينما في حالة إسماعيل شاه فقد دخل فيه العنصر الاثني - القومي فكان صدعاً رهيباً كاملاً.

بل إن توينبي يذهب إلى تقييم النتائج التي ترتبت على نشاطات إسماعيل شاه المذهبية على أنها ضخمة رهيبة مدوية لا يعادها في العصر الحديث إلا دور لينين في شق وحدة العالم الأول الأوروبي<sup>(١٥)</sup>. وقد أدى هذا الصدع المذهبي إلى انقسام العالم الإسلامي إلى غير رجعة، وساهم في انهيار «العالم الإيراني» كوحدة حضارية<sup>(١٦)</sup>، وأخيراً ساهم في اندحار (Debacles) القوى الإسلامية الكبرى الثلاث: الدولة العثمانية، الدولة الصفوية، والدولة التيمورية في شمال الهند في أوقات متقاربة (حوالي بداية القرن الثامن عشر الميلادي).

وعبثاً حاول حاكم مستبد آخر هونادر شاه بين سنوات ١٧٣٠م - ١٧٤٧م أن يعيد للعالم الإسلامي وحدته بإرجاع إيران إلى المذهب السني، فقد كان الأوان قد فات، وأصبح المذهب الشيعي بمثابة الدين القومي فارتبط بالقومية الإيرانية وعاد من المستحيل تغييره أو تغييره بسهولة. فكما انشق العالم المسيحي إلى كاثوليك وبروتستانت كذلك انشق العالم الإسلامي إلى سنة وشيعة وعقد هذا الانشقاق ورسخه عنصر النعرة الاثنية - القومية الذي تسرب إلى هذه القضية في أوقات متقاربة زمنياً. ولكن أصحاب العقلية التأمريية يجعلون من هذا الانشقاق تأمراً على العرب في سلسلة متصلة من الجهود التأمريية، وليس صراعاً وتنافساً حضارياً بين «العالم العربي» و«العالم الإيراني» يتخذ شكل الدين والانشقاق المذهبي، ويربطونه بالصليبية المسيحية التي سعت، إلى توسيعه وتضخيمه واستغلاله لمصالحها الاستعمارية - الأمبريالية.

## ( ٥ )

وتبدأ حلقة جديدة من التآمر على العرب بظهور الامبراطوريات الاستعمارية في الغرب المسيحي في الفترة ما بين القرنين السابع عشر والتاسع عشر. وقد جسدت الحملة الفرنسية على مصر (١٧٩٩م) هذه الحلقة خير

تجسيد، في وقت وصل فيه شواسول كوفية السفير الفرنسي في القسطنطينية سنة ١٧٨٨م إلى الاستنتاج بأن الامبراطورية العثمانية كانت «من أغنى مستعمرات فرنسا» في ذلك الوقت<sup>(١٧)</sup>. وفي هذه المرحلة بدأ التنافس بين الدول الأوروبية الكبرى (بريطانيا، فرنسا، بروسيا، النمسا، روسيا) في فرض هيمنتها على الدولة العثمانية وفي انتزاع المنافع والامتيازات في وقت ضعفها ودخولها كنفط هامشي للغرب الرأسمالي الصاعد.

وقد استهدفت الدول الأوروبية الكبرى فرض هيمنتها على الدول العثمانية عن طريق البحث عن عناصر الفرق والتجزئة في التركيبة الاجتماعية - الاقتصادية (التعددية)، سواء كانت عناصر الفرق هذه دينية (مسلمون - مسيحيون) أو مذهبية (سنة - شيعة) / أرثوذكس - كاثوليك) أو إثنية (أتراك - عرب) / عرب - أكرد). إلخ. وهكذا خلقت منذ مطلع القرن التاسع عشر الميلادي مشكلة الأقليات في قلب العالم العربي، والتي ستبقى منذ ذلك الحين إلى الوقت الحاضر الشغل الشاغل للعرب - أو بلغة الحصان، الأسلوب الأمثل لمشاغلهم في بلادهم وقرارهم.

بل إن البلد الذي تمزقه الآن (سنة ١٩٨٤م) حرب أهلية بين الأقليات الدينية والمذهبية، هي نفس الأقليات التي ساهمت في الحروب الطائفية في الستينات من القرن الماضي (خاصة سنة ١٨٦٠م). وقد وصلت مهزلة تدخل القوى الأوروبية الكبرى في ذلك الحين إلى الحد الذي يقوم فيه الروس بإتزال الجيوش لحماية الروم الأرثوذكس، والفرنسيون لحماية الموارنة، والبريطانيون لحماية الدروز، والنمساويون والبروسيون لحماية مصالح السلطان<sup>(١٨)</sup>.

والآن لاحظ كيف أن العنصر الذي كان عنصر قوة في الدولة العثمانية وهو الصيغة «التعددية» المبنية على التسامح الإسلامي بين الأديان والمذاهب والأثنيات، الذي تبلور في شكل نظام الملل، قد حولته الدول الأوروبية الكبرى إلى أداة تجزئة وإضعاف للدولة العثمانية. إذن ففضية الأقليات هي مشكلة حقيقية قامت الدول الكبرى بتسييسها وتحولها إلى سلاح تفرقة ولذلك فلم تكن في يوم من الأيام مؤامرة سرية. وقد تنهت لها الحركات القومية منذ البداية وسارعت إلى تبني الحل العلماني كحل منطقي ومعقول لها.

ولكن حلة العقلية التأمرية لا يرضيهم هذا التفسير ويربطون بين محاولات الدول الكبرى تجزئة البلاد العربية بقضية الأقليات وبين الحملات التبشيرية كامتداد للصليبية المسيحية لإثارة النزعات الطائفية، وبين الحركات القومية الداعية للانفصال عن الدولة العثمانية وإنشاء دولة (أو مملكة) عربية مستقلة. وهكذا تكون الدول الكبرى، والحملات التبشيرية، والقومية، والعلمانية، وفيما بعد الصهيونية والماسونية جميعاً شركاء في سلسلة من النشاطات التأمرية الغربية الغامضة ضد العرب.

## ( ٦ )

هذه هي إذن الحلقة الخامسة من الجهود التأمرية على العرب التي تشترك فيها القومية والعلمانية والصهيونية والماسونية في ربط مغرض واضح التناقض. وقد استمرت هذه الجهود منذ منتصف القرن الماضي إلى يومنا الحاضر. وتذهب العقلية التأمرية إلى غايتها في الربط بين هذه العناصر الأربعة بطريقة الرموز والشواهد والعميمات في شخصية رجل واحد هو حاييم ناحوم أفندي. دعونا نقتبس بشكل مطوّل من أسلوب الدكتور السيد فهمي الشناوي في التعريف بهذا الشخص كمثال غموضي على العقلية التأمرية عند العرب<sup>(١٩)</sup>.

«ولد حاييم عام ١٨٨٤م في تركيا، (وهو) يهودي من سلالة إسبانية هاجر أجداده إلى تركيا عام ١٤٩٢م. (وصل إلى مركز) الحاخام الأكبر للطائفة اليهودية في مصر حتى الستينات من (القرن العشرين).

هذا الشخص المستر الغامض أُلّف حزب الاتحاد والترقي في عام ١٩٠٨م، (وهو الحزب (الذي) هدم الدولة العثمانية، واشترك مع مدحت باشا في اغتيال السلطان عبدالعزیز. مدحت باشا هذا اسمه الحقيقي الأصلي آماث راينودج - حفيد الخاقان الأكبر للمجر (لاحظ الربط مع الأصل الخزري). حاييم ناحوم (كان) أحد الثلاثة الذين اقتحموا مخدع السلطان عبدالحمید ليلغوه قرار عزله. . بعد أن رفض الحمید إعطاء أي امتيازات لليهود في فلسطين. . حاييم ناحوم كان على رأس جواسيس الشرق الأوسط خلال الحرب العالمية الأولى (وعمل لحساب المخابرات البريطانية) وهو الذي رسم دور لورنس الذي نفذ هذا الأخير فيما بعد.

بعد نشوب ثورة مصطفى كمال أتاتورك تعرف على عصمت إينونو وصادقه صداقة شديدة. وفي عام ١٩١٤ جعل إينونو يطالب بأن تكون تركيا دولة علمانية في مؤتمر لوزان (ولم يكن اقتراح علمنة الدولة من صنع كمال أتاتورك. وبلغت سيطرة (حاييم) على إينونو أن عينه إينونو سفيراً لتركيا في أميركا عامي ١٩٢٦ - ١٩٢٧. . ثم انتدبت المؤتمرات الصهيونية للذهاب إلى الحبشة بحثاً عن سلالة سبأ. .

ثم عاد إلى القاهرة واستقر فيها حاكماً للطائفة اليهودية. . وفي عام ١٩٤٨ (جمع ٨ ملايين جنيه) كتبرعات لمهاجري اليهود في فلسطين. . حاييم ناحوم هذا كان عضواً في المجمع اللغوي المصري وكان المجمع اللغوي يطلق عليه تعبير «المجمع الحي». . وكان يحمل جواز سفر دبلوماسي إلى آخر لحظة. انتهى.

يبدو من هذا العرض أن الدكتور الشناوي يعتقد بوجود مؤامرة يهودية للسيطرة على العالم وأن حاييم، ما هو إلا واحد من جنودها ومنفذيها ولكن انظر الآن إلى هذه المبالغات الساذجة، والربط المغرض لمتناقضات لا تجتمع، والسطحية التي تفسر بها أحداث التاريخ، وهي السمات الثلاث التي تطبع العقلية التآمرية عند العرب بطابعها الخاص المميز. وإلا فهل يعقل أن يقوم شخص لا يزيد عمره عن أربع وعشرين سنة بمفرده على تأسيس حزب يقضي على الامبراطورية العثمانية؟ وهل يستطيع شخص بمفرده مهما كان أن يؤثر على مسار التاريخ بمجرد صداقته مع إينونو، على فرض علمانية الدولة مثلاً؟ وما هذه السلطة الخارقة التي يملكها هذا الشخص لتتج له التغلغل في الدولة المصرية ليحرف مسارها ويوجه سياساتها، وثم يصل إلى مجمع الأحياء (أو الخالدين) ويتلاعب بهم وكأنهم مومياءات.

أسئلة كثيرة ليس لها أجوبة شافية. ولكن لاحظ كيف أن حزب الاتحاد والترقي الذي يرمز إلى القومية (وهنا القومية الطورانية) قد ارتبط بشخص حاييم ناحوم أفندي بالصهيونية، والصهيونية باعتبارها أساساً دعوة قومية - وثم بالماسونية كربية للصهيونية وإن لم يشر لها المؤلف صراحة في هذا السياق<sup>(٢٠)</sup>. إن العداء للقومية مرتبط في ذهن التيار اليميني المحافظ بجرمة تمزيق الدولة العثمانية وبالتالي انهيار مؤسسة الخلافة الإسلامية.

ومن المفارقات الغربية أن الدعوة القومية تظهر من منظور التيار اليميني وكأنها دعوة إلى التجزئة في دول - قومية بعد أن كان العرب موحدین في مؤسسة الخلافة الإسلامية (العثمانية). ولكن الحقيقة أن التجزئة بشكل الدول - القومية قد فرضت فرضاً على الحكومات الوطنية من خلال السياسات الاستعمارية الغربية.

## ( ٧ )

وبنهاية القرن التاسع عشر، يبدأ التآمر الحقيقي الفعلي على العرب من قبل الدول الاستعمارية الكبرى. وقد انتظمت هذه الجهود في سلسلة متصلة من الفعاليات والأحداث: الانتاظ الثلاثي (١٩٠٧)<sup>(٢١)</sup>، معاهدة سايكس - بيكو لتقسيم البلاد العربية (١٩١٦)، وعد بلفور (١٩١٧)، مشروع الانتداب - الاستقلال

للولايات العربية (اعتباراً من ١٩١٩)، الاستيطان اليهودي (١٩١٧ - ١٩٤٨)، خلق إسرائيل (١٩٤٨)، هزيمة العرب في حرب ١٩٤٨، العدوان الثلاثي (١٩٥٦)، هزيمة العرب في حرب حزيران (١٩٦٧)، وأخيراً بدء مرحلة الأمن العبراني (١٩٦٧ - ١٩٨٤) أو (Pax Hebraeca).

وبالرغم من استعمال إدارات الانتداب لسلاح فرق تسد وإثارة التفرقات الطائفية والمذهبية والعشائرية، إن ذلك لم يمنع الحركات القومية - التحررية والإصلاحية من النمو والازدهار في العشرينات والثلاثينات من هذا القرن، بل أصبح خطرها واضحاً في نهاية هذه الفترة في إمكانية تحقيقها لوحدة العالم العربي، وللغرب كما ترى مصلحة واضحة في منع ذلك.

هنا، في هذا المتعطف التاريخي يبدأ الشك يساورنا من أن الخلافات والعداءات المرة المستميتة بين القيادات الوطنية لم تكن شيئاً طبيعياً، بل إنها كانت خارجة عن المألوف من الخلافات والتنافس السياسية بسبب تنوع الاجتهادات والانتماءات الأيديولوجية. فقد خرجت هذه الخلافات عن المألوف لأنها ضحّت بالمصالح العليا للبلاد وكانت بالفعل على حساب الأهداف القومية العليا. ألم تدرك هذه القيادات الوطنية فداحة هذه الخلافات والعداءات؟

وهل نحتاج إلى قائمة بالصراعات والمتصارعين والتناحرات المرة المستميتة بين القادة التي ضحّى من أجلها بالمصالح والأهداف الوطنية<sup>(٢٢)</sup>: ما بين زغلول ويكن والحزب الوطني، وما بين لطف الله والشاهيندر من جهة وإرسلان والقوتلي وحزب الاستقلال من جهة أخرى والعظم من جهة ثالثة، ما بين ياسين الهاشمي وحكمت سليمان ورشيد عالي وجماعة الأهالي، ما بين الناشيشيبي والحسيني. وما بين هؤلاء جميعاً وأحزاب الملوك وأحزاب الطوائف ضاعت الجهود والحدودية وضاعت إمكانات التنمية المستقلة وضاعت فلسطين، وكادت أن تضيع الأمة.

وطالما أن ظلالاً من الشك قد ألفت إن لم يكن على نزاهة وإخلاص هذه القيادات الوطنية فعلى حكمة ورجاحة عقل هذه القيادات التي تضحي بالمصالح العليا للبلاد والأهداف القومية للأمة لمنافع شخصية أو حزازات وعداءات ثانوية. ولذلك لم يكن عسيراً أبداً على إدارات الانتداب الاستعماري أن توجس في النفوس من هؤلاء القادة، ونحن حتى هذه اللحظة لا نعلم عن يقين وربما لن نعلم أبداً من كان القائد الوطني الحقيقي ومن كان صنيعه الدول الكبرى، من كان المناضل المخلص ومن كان ربيب المستعمر الزائف<sup>(٢٣)</sup>.

وبالرغم من النجاح الواضح الذي حققته الدول الكبرى في شق وحدة صفوف المعارضة والتشكيك بقياداتها، إلا أن هذه القيادات وجدت مجالاً ولو محدوداً لحرية الحركة بسبب تعدد الجهات الاستعمارية وبسبب التنافس بينها. ولذلك فإن الحرب العالمية الثانية تمثل نقطة تحول تاريخية في الصراع بين العرب والدول الامبريالية.

## ( ٨ )

فقد برزت الولايات المتحدة بعد الحرب كدولة عظمى ورثت مصالح الغرب الامبريالي في المنطقة ووحدتها، ودفعت بالقوى السياسية المحلية المتصارعة إلى حالة الاستقطاب الأيديولوجي الذي فرضته على العالم من خلال الحرب الباردة التي أعقبت الحرب العالمية الساخنة بقليل. وهنا لأول مرة يتخذ التآمر على العرب (وغيرهم من شعوب العالم الثالث) كل أبعاده الحقيقية ومواصفاته الفعلية. فهناك جهة واحدة تقوم بالتآمر بشكل واع مقصود، ويتخذ هذا التآمر أشكالاً مختلفة مكررة مبطنة خادعة أحياناً وعلنية سافرة تباع وتشترى فيها



الذمم أحياناً أخرى. وعندما يكون النشاط التأمري سرياً فمن الصعب إثباته بشكل نهائي وقاطع لافتقار من يريد ذلك إلى الدليل القطعي.

ولكن واحداً من أشكال المكر في هذه السياسة الخبيثة هو ليس التشكيك بإخلاص القادة السياسيين فقط وإنما تسريب المعلومات بشكل واعٍ مدروس عن ضخامة هذه الفعاليات التأمريّة وشموليتها، وفداحة محاولة مقاومتها والويل والثبور الذي سيصيب العرب إن هم فكروا في ذلك. وهكذا يصور للعرب أن خلف كل زاوية جاسوساً لأميركا، وبين أصلب المناضلين وأخلص القادة من يعمل لحسابها، وأن هناك دائماً «طبخة» تعد في المطبخ الأميركي وأن خيوط مسرح العرائس تحرك من الدمى حسبما تشتهي السياسة الأميركية. بل إن هذه الدولة العظمى تعلم كل شيء وتعد العدة لكل طارئ قبل وقوعه بزمان، وهي قادرة على إنزال العقاب بمن لا ترضى عنه وعلى تغيير أو تصفية من تشاء من الحكام، ولا تحد قدرتها حدود.

ومن منا لم تهزه قراءة كتاب مايلز كوبلاند: لعبة الأمم (١٩٦٩)، وهل هناك أروع من تصوير أُم الأرض ما بين ضعيفها وسمينها على أنها بياض يجري تحريكها في وزارة الخارجية الأميركية حسب سيناريوهات لعبة الأمم. ثم يأتي فيليب أكي ليفضح وكالة الاستخبارات الأميركية ويكشف قوائم بأسماء وعناوين عملائها<sup>(٢٤)</sup>.

ثم تنشر في وقت متقارب قوائم بأسماء الأشخاص الذين تلقوا مساعدات من وكالات التجسس الأميركية، وكل هذا مقصود ومدروس خاصة لأن هذه القوائم لم تتضمن أسماء القادة السياسيين فحسب بل تضمنت كذلك أسماء طلاب جامعيين ونقابيين بارزين وصحفيين وأدباء وكتاباً لم يكن يرقى لإخلاصهم ونزاهتهم شك. والعبرة في كل هذا واضحة طبعاً وهي أن وكالات التجسس الأميركية تستطيع الوصول إلى كل مكان ولبن تشاء.

وحتى نفصل - قدر المستطاع - الحقيقة عن الخيال فلا بد لنا أن نعترف بأن التآمر الأميركي على العرب (كما على العالم الثالث) حقيقة واقعة تستخدم فيه كل ما توصلت إليه الأساليب المتطورة في جمع المعلومات والإدارة الحديثة والتنسيق الراقى والاستخدام الواعي لتنتائج العلوم والتكنولوجيا. كل هذا صحيح ولا بد أن نعترف به.

ولكن لا بد لنا أن نعترف أيضاً بأن هناك كثيراً من المبالغة في قدرة أميركا، وقدرا غير يسير من التهويل بإمكانية أميركا على التحكم بمسار الأمور على نطاق عالمي. ففي كثير من الأحيان تعكس السياسات الأميركية قصر النظر والتخبط (وحتى الغباء في بعض الحالات)، وهناك أيضاً العديد من المحفوات وثم الأخطاء الفادحة في التقدير أو في تنفيذ هذه السياسات، فمنفذوها في النهاية بشر تنقصهم بشكل واضح الخبرة في رسم السياسات الأميركية على نطاق عالمي.

خذ على سبيل المثال ما كشفه ستيفن كرين في كتابه الذي صدر مؤخراً بعنوان «الانحياز». فمن خلال العديد من الوثائق التي حصل عليها هذا الكاتب توصل إلى الاستنتاج بأن الولايات المتحدة تتآمر على العرب حسب ما ورد بالنص في مذكرة الجنرال أرسكين مساعد وزير الدفاع إلى الجماعة المشتركة للتجسس التابعة إلى مجلس الدفاع القومي الأميركي بتاريخ ١٧/٧/١٩٥٦، أي بعد ثلاثة أسابيع من تأميم قناة السويس:

... إذا خرج (عبد) الناصر بمكانة عالية (من أزمة السويس) فإن هذا سيعطي تيار الوحدة العربية

(Pan-Arabism) دفعة قوية مما قد يشكل خطراً داهماً على استمرار بقاء إسرائيل . (لا بد أن) بن غوريون، والحالة كما ذكرنا أعلاه، يقدر إمكانية حرب وقائية تهدف إلى إبطاء معدل التماسك العربي<sup>(٢٥)</sup>.

ومع أن بن غوريون قد شن حربه الوقائية على عبدالناصر إلا أن عبدالناصر قد خرج فعلاً بمكانة عالية بين العرب والعالم الثالث عامة. ولذلك، وتحقيقاً لهدف «إبطاء معدل التماسك العربي»، اقتضى حرباً أخرى بعد إحدى عشرة سنة في حزيران ١٩٦٧. ولكن بدلاً من أن تستغل أميركا إسرائيل كما حصل في سنة ١٩٥٦ فإن إسرائيل هذه المرة هي التي تلاعبت بأميركا تحقيقاً لأغراضها الخاصة كما أوضح كرين في كتابه السالف الذكر<sup>(٢٦)</sup>.

فالمسألة حسب تعبير والت رستاو مستشار الرئيس جونصون في ٣ حزيران سنة ١٩٦٧ هي «إطلاق العنان» (Unleash) للإسرائيليين في شن الهجوم (الذي أطلق عليه اسم: صيد الديك الرومي) لتحقيق أربعة أهداف: (١) إخراج الروس، (٢) تدمير التجهيزات العسكرية السوفيتية، (٣) الإطاحة بعبدالناصر، (٤) احتلال الأراضي التي ستجبر الدول العربية المحيطة بإسرائيل على الجلوس حول مائدة المفاوضات<sup>(٢٧)</sup>.

وهذا كله يعكس إلى أي حد وصل ضلوع الولايات المتحدة في التأمر على العرب، ويعكس كذلك إلى حد نجاح الولايات المتحدة في إبطاء معدل التماسك العربي. إن سر نجاح السياسة الأميركية هو قدرتها على تحمل الخسائر المادية، وإمكاناتها التمويلية الفائقة، ووفرة من يتعاونون معها من الحكام والجلالوة ما بين مثقف وجاهل، عن وعي أو عن تعامي.

ولكن هناك أمثلة ناصعة على كيفية دحر هذه السياسات وهزيمتها من كوبا إلى فيتنام وإلى لبنان. ولذلك فليس هناك أي مبرر للباس والقنوط المصاحب للعقلية التأميرية التي تسود بين العرب هذه الأيام، والتي تصور الوضع وكأنه «طبخة» تطبخها الولايات المتحدة دون أن يكون فيه للعرب حول ولا قوة. فالولايات المتحدة – حسب التعبير الشائع هذه الأيام – تمتلك كل أوراق اللعبة، وهو هراء المستسلم العاجز.

## ( ٩ )

أما بعد فإن العقلية التأميرية هي طريقة في التفكير الانفعالي تنبني على الاعتقاد بأن العرب قومية متميزة قد اختيروا لأداء رسالة حضارية، ولذلك فهم ضحايا المؤامرة تاريخية تستهدف رسالتهم الحضارية والقضاء عليهم كأمة وكجماعة دينية. وقد حاولنا أن نبين أعلاه أهم أطوار هذه المؤامرة التاريخية حسب هذه الطريقة في النظر إلى الأمور.

وتستمد العقلية التأميرية فاعليتها من مصدرين: ( أ ) التعصب القومي الذي يجعل من العرب قومية متميزة بشكل استثنائي؛ و( ب ) من التعصب الديني الذي يجعل من العرب أصحاب رسالة أخلاقية – عتدية يجسدها الإسلام. وفي كلا الحالتين تتضمن هذه العقلية دعوة ضمنية للانكفاء على الذات وللانغلاق الحضاري. وبالرغم من العداء المستميت بين القوميين المتعصبين والمتدينين المتعصبين فإن تفسيراتها تصب في مجرى واحد، كما في شعار: عز الإسلام بعز العرب فإذا ذل العرب ذل الإسلام. ومع أن التأمر على العرب وشعوب العالم الثالث بصورة واعية منظمة قد ارتبط بظهور الدول الاستعمارية – الامبريالية الحديثة في القرن التاسع عشر، إلا أن العقلية التأميرية توسع النطاق التاريخي للنشاطات التأميرية كثيراً كما رأينا، وبشكل يفترق إلى الأدلة المقتنة.

وتعزو العقلية التأميرية عادة وقوع الأحداث إلى جهة واحدة مدبرة وفي أحيان كثيرة لا توجد هذه في الواقع. وتفترض هذه العقلية ترابطاً وتنسيقاً واعياً بين هذه الأحداث وهذا ما لا يتحصل في الواقع دائماً. وفي أحيان كثيرة تخلط العقلية التأميرية الحقيقة بالوهم فتضيع الأولى بسبب الثاني.

وترفض العقلية التأميرية التفسيرات المنطقية البسيطة حتى وإن كانت أقرب إلى الحقيقة، وتفضل عليها التفسيرات الغامضة المعقدة التي يستدل عليها بالرموز والشواهد والمعميات وإن كانت تستند إلى متناقضات لا تجتمع. وتصور العقلية التأميرية استهداف العرب كأمة وكمجموعة دينية على أنه صراع حياة وموت، أي صراع من أجل البقاء. وبذلك تخلط هذه الطريقة في التفكير بين التنافس «الطبيعي» والصراع الاعتيادي بين الحضارات والجماعات الأثنية، وبين الصراع الذي يكون مجموعه صفراً. فليست كل أنواع الصراع صراعات إبادة، بحيث أن ما يكسبه خصم هو بالضبط ما يخسره الخصم الآخر.

ولذلك، وحتى لا نصاب بهذه العقدة التأميرية المولدة للشلل، لا بد من تمحيص القضايا والمعلومات، وتوخي الموضوعية والواقعية في التحليل والتعليل، وتجنب المبالغة في تصوير نفردنا وفي تعالي رسالتنا الخالدة. فمما نحن في النهاية إلا أمة كبقية الأمم تسعى إلى الحرية والرفق. وإذا أردنا التميز والتفرد فما ذلك إلا لأننا لا بد نريد المساهمة أكثر من غيرها أو أفضل من غيرها في إغناء الحضارة الإنسانية لخير البشر جميعاً.

## المواشي

- (١) Maxime Rodinson. The Arabs. The University of Chicago Press, 1981, P.X.
- (٢) لتقييم حديث هذه السياسة، انظر:
- Richard Morrock, «Heritage of Strife: The Effects of Colonialist» Divide and Rule» Strategy Upon the Colonized Peoples», Science and Society, Vol. xxxv11, No. 2, 1973, PP. 129-151.
- (٣) عبدالرزاق الحصان: المهدي والمهدوية. نظرة في تاريخ العرب السياسي. بغداد، مطبعة العاني، ١٩٥٧، ص ١٦ - ١٧.
- (٤) لأخذ فكرة عن الضجة التي أحدثها كل من هذين الكتاين وردود الأفعال المختلفة لها، انظر: عبدالرزاق الحسني: تاريخ الوزارات العراقية. ١٠ أجزاء، ط ٦، بيروت: مركز الأبجدية، ١٩٨٢. ج ٢، ص ٨٨ - ٨٩؛ ج ٣، ص ٢٤١ - ٢٤٣.
- (٥) هناك مؤلفان حاولا التوصل إلى الإجابة عن هوية هذه الجهة التأميرية ولكنها انتهيا إلى نتيجتين متناقضتين كلياً، وهما محمد عبدالله الغريب في كتابه المعنون (وجاء دور المجوس، ١٩٨١) ومحسن الأمين في كتابه (تجديد كشف الارتباب في اتباع محمد بن عبد الوهاب، ١٩٥٢).
- (٦) العقلية التأميرية تربط بين الشيعة واليهود والنصارى بشكل دائم، ويتجلى هذا الربط في شخص عبدالله بن سبأ مثلاً الداعية الشيعي الذي كان يهودياً فأسلم. أو في كون أن هولاكو الغازي المغولي كان له وزير شيعي وزوجة نسطورية.
- (٧) انظر: مقدمة رضوان السيد الجيدة لكتاب الماوردي قوانين الوزارة لاستخلاص فكرة عامة عن المناخ الفكري والسياسي لهذه الفترة. أبو الحسن الماوردي: قوانين الوزارة وسياسة الملك. بيروت: دار الطليعة، ١٩٧٩، خاصة ص ٢٠ - ٨٨.
- (٨) عبدالرزاق الحصان: المهدي والمهدوية. م. س. ص ١٩٤ - ١٩٥.
- (٩) الإشارة إلى صلاح الدين الأيوبي السلطان المسلم الذي حرر بيت المقدس من حكم الصليبيين (١١٨٧م - ١١٩٠م).
- (١٠) خاصة في الفترة بين ١٥٢٥م - ١٥٧١م. انظر:
- Norman Itzkowitz. Ottoman Empire and Islamic Tradition-The University of chicago press, 1980, pp. 34-35.
- (١١) لاحظ أن هذا هونفس تاريخ تنويج شارلمان الذي يعتبره بعض الكتاب البداية الرسمية للإقطاع والعصور الوسطى في أوروبا. أي أن بداية الازدهار العربي تزامنت مع بداية الانحطاط الأوروبي، انظر: خلدون حسن النقيب: تساؤلات حول بعض الملامح الخاصة بالمجتمع وتاريخه. المجلة العربية للعلوم الإنسانية، المجلد ١، العدد ٢، ربيع ١٩٨١، ص ١٨٢ - ١٨٣.
- (١٢) عنصر العقلية التأميرية واضح كل الوضوح في كتاب إدوارد سعيد عن الاستشراق، انظر:
- S.J.Al-Azm, «Orientalism and Orientalism in Reverse», Khamsin, No. 8, 1981, pp. 5-26.
- (١٣) آرثر كوستلر: امبراطورية الخزر وميراثها. القبيلة الثالثة عشرة. منشورات: فلسطين المحتلة، لجنة الدراسات الفلسطينية، بدون تاريخ.
- Arthur Koestler. The Khazar and its Heritage. London: Hutchinson, 1976, part. II.

- (١٤) آرثر كوستلر: الترجمة العربية. ص ٢٢٤ - ٢٢٦.
- (١٥) Arnold Toynbee. A Study of History. London: Oxford Univ. Press, Vol. 1, p. 399.
- (١٦) من المهم أن يدرك القارئ بأن الدولة العثمانية حتى مجيء إسماعيل شاه الصفوي كانت امتداداً حضارياً للعالم الإيراني، ولذلك فإن فرض إسماعيل شاه المذهب الشيعي على إيران قد وجه ضربة قاصمة لثقافة العثمانيين الإيرانية بأن قطع جذورها. وعاش العثمانيون بعد هذا التاريخ، حسب تعبير توينبي، حياة ثقافية ميتة (Cultural life-in-death) حتى مجيء كمال أتاتورك وفرضه الثقافة الغربية على تركيا.
- Toynbee, ibid, p. 395.
- (١٧) حسب رواية ستافريانوس.
- L.S. Stavrianos. Global Rift: The Third World Comes of Age. New York: William Morrow, 1981, p. 139, and chap. 6.
- (١٨) لوتسكي: تاريخ الأقطار العربية الحديث. موسكو: دار التقدم، ١٩٧١، ص ١٥٣ - ١٦٦.
- (١٩) السيد فهمي الشناوي: «شخصيات في التاريخ المعاصر». مجلة الهلال، مارس ١٩٨٣، ص ٧١ - ٧٢.
- (٢٠) تتضح الصلة بين الصهيونية والماسونية في «بروتوكولات حكماء صهيون»، وهو كتاب مجهول المؤلف وجهة النشر الأصلية.
- (٢١) حول تاريخ (Entente Cordiale) (بين فرنسا، روسيا، وإنكلترا)، انظر:
- David Thomson. Europe since Napoleon. London: Longman, 1983, 2nd. ed. pp. 490-500.
- (٢٢) خدوري يوفر قائمة مختصرة لهذه الصراعات تفي بالغرض.
- Elie Kedourie. Arabic Political Memoirs, and other Studies. London: Frank Cass, 1974, pp. 28-58.
- (٢٣) فقد وصل التشكيك بالقيادات الوطنية والسياسيين البارزين عند كاتب مثل موفق بن المرجة إلى حد الإسفاف والابتذال. فهذا الكاتب يوزع التهم ميناً ويساراً لكل من سئلت له نفسه معارضة «الخلافة العثمانية» أو اعتناق المبادئ القومية - العلمانية. والمحزن في الأمر أن كتابه هذا هو رسالة ماجستير نالها في إحدى الجامعات العربية المحترمة، انظر:
- موفق بن المرجة: صحوة الرجل المريض، أو السلطان عبد الحميد الثاني والخلافة الإسلامية، الكويت: مؤسسة صقر الخليج، ١٩٨٤.
- (٢٤) Philip Agee. Inside the Company: C.I.A. Diary. London: Allen Lane, 1974.
- (٢٥) العبارة كما وردت بالنص:
- «Preventive war aimed at stalling the rate of Arab cohesion». Stephen Green. Taking Sides: Americas Secret Relations with a Militant Israel. New York: William Morrow, 1984, Document No. 9, p. 329.
- (٢٦) Stephen Green. ibid, pp. 180-242.
- (٢٧) ibid, p. 199.